

## الوافي في الوفيات

تأخّرتُ لمّا قدّمَ متهمٌ عُلاكمُ ... عليّ - وتأبى الأُسْدُ سبقَ الثعالبي .  
تُرى أين كانوا في مواطني التي ... غدوتُ لكم فيهنّ - أكرم - نائب - ؟ .  
لياليّ أتلو ذكركم في مجالسٍ ... حديثُ الوَرَى فيها بغمزِ الحواجبِ .  
ومنه قصيدة مدح بها صلاح الدين وسمّاهَا : شكايه المتطلّمْ ونكايه المتألّمْ : .  
أيا أُذُنَ الأيامِ إنّ قلتُ فاسمعي ... لنفثه مصدورٍ وأنّسةٍ موجّعٍ .  
وعبي كلّ صوتٍ تسمعين نداءه ... فلا خيرَ في أُذُنٍ تُنادى فلا تعبي .  
تقاصر بي خَطُّو الزمانِ وباءه ... فقصّر من ذرعٍ وقصّر أذرعي .  
وأخرجني من موضعٍ كنتُ أهله ... وأنزلي بالجور في غير موضعٍ .  
بسيفِ ابن مهديّ وأبناء فاتكٍ ... أقصّ من الأوطان جنبي ومضجعي .  
تيمّمتُ مصراً أطلبُ الجاه والغنى ... فنلتهما في ظلّ عيشٍ مُمَنّدٍ .  
وزرتُ ملوكَ الذّيلِ أرتادُ زيلهم ... فأحمد مُرتادي وأخصب مربعي .  
وفزتُ بألفٍ من عطيةٍ فائزٍ ... مواهبه للصنع لا للتصنّع .  
وكم طرقتني من يدٍ عاضديّةٍ ... سرتُ بين يقطى من عيونٍ وهُجّجٍ .  
وجاد ابن رُزّيكٍ من الجاه والغنى ... بما زاد عن عزمي رجائي ومطمعي .  
وأوحى إلى سمعي ودائع شعره ... فخبّرتُه مني بأكرم مودّعٍ .  
وليست أيادي شاورٍ بزميمةٍ ... ولا عهدُها عندي بعهدٍ مُضيّعٍ .  
ملوكُ رعّوا لي حُرّمةً صار نبتُها ... هشيمًا رعتُه النائباتُ وما رُعي .  
ورُدّت بهم شمسُ العطايا لوفدهم ... كما قال قومٌ في عليّ ويوشع .  
مذاهبهم في الجود مذهبُ سُنْدَةٍ ... وإن خالفوني في اعتقادٍ التشيّع .  
فقلّ لصلاح الدين والعدلُ شأنه ... من الحاكمِ المُصغي إليّ فأدّعي .  
سكتُ فقالت ناطقاتُ ضرورتي : ... إذا حلقاتُ البابِ علّقن فاقرع .  
فأدّلتُ إدلالَ المحبِّ وقلتُ ما ... أتاني بعفو الطبع لا بالتطبّع .  
وعندي من الآداب ما لو شرحتُه ... تيقّنتُ أنّي قدوةُ ابن المقفّع .  
أقمتُ لكم ضيفاً ثلاثة أشهرٍ ... أقول لصدري كلاماً ضاق : وسّرع .  
أُعلاّلُ غلماي وخيلي ونسوتي ... بما ضقتُ من ذرعٍ ضعيفٍ مُرفّع .  
ونؤوا بكم للوفد في كلِّ بلدةٍ ... تفرّقُ شملَ السائل المتورّع .  
وكم من ضيوفِ البابِ ممّن لسانُه ... إذا قطعوه لا يقوم بإصبع .

مشارعُ من نعمائكم زرتُها وقد ... تكدرُ بالإسكندرية مشرعي .  
فيا راعيَ الإسلام كيف تركتنا ... فريقي ضياعٍ من عرايا وجُوعٍ ؟ .  
دعوناك من قربٍ ويُعدِّ فهب لنا ... جوابك فالباري يجيبُ إذا دُعي .  
إلى [ ] أشكو من ليالي ضرورةٍ ... رجعنا بها نحو الجنابِ المُرجِّعِ .  
قنعنا ولم نسألك صبراً وعفَّةً ... إلى أن عدنا منا بلُغةَ المتقدِّعِ .  
ولمّا أغصَّ الريقُ مجرى حلوقنا ... أتيناك نشكو عُصَّةَ المتجرِّعِ .  
ألم ترّ عني للشافعيِّ فإزّه ... أجلُّ شفيعٍ عند أعلى مُشفِّعِ .  
ونصري له في حيثُ لا أنت نصري ... بضربِ صقيلاتٍ ولا طعنِ شرِّعِ .  
لياليَ لا وقتُ العراق بسجِّ سجِّ ... بمصرَ ولا ريحُ الشَّامِ بزَعزَعِ .  
كأنِّي بها من آلِ فرعونَ مؤمنُ ... أُّ صارع عن ديني وإن خاب مصرعي .  
أمن حسنات الدهر أم سيِّئاته ... رضاك عن الدنيا بما فعلتُ معي ؟ .  
ملكْتَ عنانَ النصرِ ثمَّ خذلتني ... وحالي بمرأى من عُلاك ومسمعِ .